كل يوم تتلون غير هذا بك اجمل ومن كان سماعه من الله وبالله ومنه فينبغي ان يكون قد احكم قانون
العلم في معرفة الله سبحانه ومعرفة صفاته والا خطر له في السماع من الله عز وجل ما يستحيل عليه
ويكفر به ففي سماع المريد المبتدي خطر الا اذا لم ينزل ما يسمعه الا على حاله من حيث
لا يتعلق بوصف الله ومثال الخطا فيه هذا البيت بعينه لو سمعه في نفسه وهو يخاطب به ربه
فيضيف التلون الى الله فيكفر وهذا قد يقع عن جهل محض مطلق غير ممزوج بتحقيق وقد يكون
عن جهل ساقه اليه نوع من التحقيق وهو ان يرى تقلب احوال قلبه بل تقلب سائر احوال العالم من الله
وهو حق فانه تارة يبسط قلبه وتارة يقبضه وتارة ينوره وتارة يظلمه وتارة يلينه وتارة يقسيه وتارة يثبته على طاعته
ويقويه عليها وتارة يسلط الشيطان عليه فيصرفه عن سنن الحق وهذا كله من الله ومن يصدر منه افعال
مختلفة في اوقات متقاربة فقد يقال في العادة انه ذو بدوات وانه متلون ولعل الشاعر
لم يرد الا نسبة محبوبه الى التلون في قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهو هذا المعنى وسماع هذا
كذلك في حق الله تعالى كفر محض بل ينبغي ان يعلم انه سبحانه وتعالى يلون ولا يتلون ويغير ولا
يتغير بخلاف عباده وذلك العلم يحصل للمريد باعتقاد تقليدي ايماني ويحصل للعارف
البصير بيقين كشفي حقيقي وذلك من اعاجيب اوصاف الربوبية وهو التغيير من غير تغير
ولا يتصور ذلك الا في حق الله سبحانه بل كل مغير سواه فهو متغير ومن ارباب الوجد من يغلب عليه حال
مثل السكر المدهش فينطلق لسانه بالعتاب مع الله تعالى ويستنكر اقتهاره للقلوب وقسمته
للاحوال السنية على تفاوت فانه المصطفى لقلوب الصديقين والمبعد لقلوب الجاحدين
والمغرورين فلا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع ولم يقطع التوفيق عن الكفار لجناية متقدمة
ولا امد الانبياء صلوات الله عليهم بتوفيقه ونور هدايته لوسيلة سابقة ولكنه قال ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين وقال ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين
وقال ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فان خطر ببالك انه لم اختلفت
السابقة وهم في ربقة العبودية مشتركون نوديت من سرادقات الجلال الا تجاوز حد الادب
فانه لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولعمري تادب اللسان والظاهر مما يقدر عليه الاكثرون
فاما تادب السر عن اضمار الاستبعاد لهذا الاختلاف الظاهر في التقريب والابعاد
والاشقاء والاسعاد مع بقاء الشقاوة والسعادة ابد الاباد فلا يقوى عليه الا العلماء الراسخون
في العلم ولهذا قال الخضر عليه السلام لما سئل عن السماع في المنام انه قال هو الصفا الزلال الذي لا يثبت

عليه الا اقدام العلماء لانه يحرك لاسرار القلوب ومكامنها ومشوش لها تشويش السكر
المدهش الذي يحل عقدة الادب عن السر الا من عصمه الله بنور هدايته ولطف عصمته
ولذلك قال بعضهم ليتنا نجونا من هذا السماع راسا براس ففي هذا النوع من السماع خطر يزيد على
خطر السماع على مخلوق بالشهوة فان غاية ذلك معصية وغاية الخطا هنا الكفر
واعلم ان الفهم قد يختلف باحوال المستمع فيغلب الوجد على مستمعين لبيت واحد واحدهما
مصيب في الفهم والاخر مخطي او كلاهما مصيبان وقد فهما معنيين مختلفين متضادين
ولكنه بالاضافة الى اختلاف احوالهما لا يتناقض كما حكي عن عتبة الغلام انه سمع رجلا يقول
سبحان جبار السما ان المحب لفي عنا فقال صدقت وسمعه رجل اخر فقال
كذبت فقال بعض ذوي البصائر اصابا جميعا وهو الحق فالتصديق كلام محب
غير متمكن من المراد بل مصدود متعب بالصد والهجر والتكذيب كلام مستانس
بالحب مستلذ لما يقاسيه بسبب فرط حبه غير متاثر او كلام محب غير مصدود عن مراده
في الحال ولا مستشعر خطر الصد في المال وذلك لاستيلاء الرجا وحسن الظن عليه فباختلاف
هذه الاحوال يختلف الفهم وحكي عن ابي القسم بن مروان وكان قد صحب ابا سعيد الخراز
وترك حضور السماع سنين كثيرة انه حضر في دعوة فقال بعضهم وانشد
واقف في الماء عطشان ولكن ليس يسقى
فقام القوم وتواجدوا فلما سكنوا سالهم عن معنى ما وقع لهم من معنى البيت فاشاروا الى
التعطش الى الاحوال الشريفة والحرمان عنها مع حضور اسبابها فلم يقنعه ذلك فقيل له فماذا
عندك فيه فقال ان يكون في وسط الاحوال ويكرم بالكرامات ولا يعطى منها ذرة واحدة
وهذا اشارة الى اثبات حقيقة وراء الاحوال والكرامات الاحوال سوابقها والكرامات
تسنح في مبادئها والحقيقة بعد لم يبق الوصول اليها ولا فرق بين المعنى الذي فهمه وبين ما ذكروه
الا في تفاوت رتبة المتعطش اليه فان المحروم عن الاحوال الشريفة اولا يتعطش اليها
فان مكن منها تعطش الى ما وراءها فليس بين المعنيين اختلاف في الفهم بل الاختلاف
بين الرتبتين وقد كان الشبلي رحمه الله كثيرا ما يتواجد على هذا البيت
ودادكم هجر وحبكم قلى ووصلكم صرم وسلمكم حرب
وهذا البيت يمكن سماعه على وجوه مختلفة بعضها حق وبعضها باطل واظهرها ان يفهم هذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1